المعالم الأثرية القديمة في الجزائر من خلال مؤلفات الأستاذ "محمَّد الصَّغير غانم

أ/ حناي محمد

قسم العلوم الانسانية– جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

****

المقدمة:

الجزائر وطن قديم بقدم الحضارة الإنسانية التي أُكتشفتْ على سطح المعمورة، وما يعزز طرحنا هذا هو اكتشاف المواقع الحضارية والمعالم الأثرية التي تختزن عبق الموروث الحضاري للإنسان الجزائري القديم[1] وترشد إلى تعاقب أزمنة عصور ما قبل التَّاريخ على هذا الوطن، وما يكشف لنا ويُطلعنا على هذا السِّر الحضاري الدَّفين كتابات الأستاذ الدُّكتور "محمَّد الصَّغير غانم"، الذي كان سباقاً في رصد تاريخ الجزائر القديم وخاصة مواقعه ومعالمه الحضارية الأثرية القديمة؛ وحتى نتعرف على مضمون ما رصده لنا هذا الباحث الفاضل في كتاباته العلمية التي تؤرخ لمواقعنا ومعالمنا الحضارية الأثرية القديمة قِدَم العصور التَّاريخية، يمكننا طرح الإشكالية التَّالية: **ما موقع وقيمة المعالم الحضارية الأثرية الجزائرية القديمة في التَّاريخ الحضاري الإنساني من خلال مؤلفات محمَّد الصَّغير غانم؟**

مستعيناً بعدة أسئلة استقصائية هي:

- ✓ من هو محمَّد الصَّغير غانم؟
- ✓ ما المواقع والمعالم الحضارية الأثرية الجزائرية التي رصدها في كتاباته؟
- ✓ ما قيمة هذا الرَّصد في تاريخ الجزائر الحضاري، وماذا أضاف لتاريخ الإنسانية؟

[1] – محمَّد الصَّغير غانم: **نصوص بونية – ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، ط.1**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012م، ص.50.

أولاً: ترجمة محمَّد الصَّغير غانم:

وُلد محمَّد الصَّغير غانم بن مبروك غانم والضَّاوية ساني بقرية "قلمامن" بلدية "وادي الطَّاقة" ولاية "باتنة"، وذلك في نهاية الثَّلاثينيات من القرن العشرين. نشأ بقرية "جمورة" ولاية "بسكرة" فالتحق في سن مبكرة بالمدرسة القرآنية بجامع الجمعة العتيق لحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، وفي نفس الوقت التحق بالمدرسة الفرنسية التي كانت موجودة بقرية "جمورة" حينذاك، كما أنه تلقى مبادئ اللغة العربية والفقه الإسلامي على يد أخيه "حسين غانم"، ثم انضم إلى فرع كشافة الرَّجاء التي كان مقرها بالسوق العتيق وكانت ترعاها "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، حيث كان يتولى تسيير شؤونها الشَّيخ "قدوري علي"، ثم "ركيبي بشير"، وبعده الشَّيخ "الشَّريف حاجب".

في سنة **1954م** اندلعت ثورة التَّحرير المباركة فشارك "محمَّد الصَّغير غانم" رغم صغر سنه في الثَّورة التَّحريرية الجزائرية حاملاً للبريد في بداية الأمر، ثمَّ فدائياً وهذا فيما بعد وكان ذلك بدفع من أخيه الشَّهيد "حسين غانم" الأكبر منه سناً الذي كان يُشرف على تربيته وتوجيهه بعد وفاة والدهما.

في خريف سنة **1956م** شارك "محمَّد الصَّغير غانم" في تنفيذ عملية فدائية بـِ"عين التُّوتة"، قادها الفدائي "عيسى معافي"، وتمثلت في اختطاف أحد الخونة الذي تسبب في هلاك الكثير من مناضلي بلدة "جمورة" بسبب وشايته بهم إلى الاحتلال ممثلاً في ضابط الشُّؤون الأهلية **ASS**. وبعد هذا العمل بقليل ألقي القبض على "محمَّد الصَّغير غانم" من قبل الجيش الفرنسي وعُذب ثمَّ سُجن بقرية "منعة"، وقد دامت مدة سجنه أكثر من ثلاثة أشهر، وبعد خروجه من السِّجن سنة **1957م** التحق "محمَّد الصَّغير غانم" بجيش التَّحرير الوطني بـِ"جبل القرون"(بني فرح) بالتخوم الأوراسية الجنوبية، فقضى هناك أربع سنوات في الكفاح المسلح داخل الجزائر والحدود الجزائرية التُّونسية، سمح له المسؤولون في جيش التَّحرير

ليكون ضمن الكثير من الشَّباب الذين سيكونون إطارات لمستقبل الجزائر، حيث انضم لاتحاد الطَّلبة المسلمين الجزائريين بـِ"تونس العاصمة"، وأدخل إلى مدارسها سنة **1960م** بعد اجتيازه لامتحان إثبات المستوى التَّعليمي، وبعد حصوله على الشَّهادة الأهلية أوفدته الحكومة المؤقتة الجزائرية، ضمن بعثة دراسية لدولة "الكويت" الشَّقيقة وذلك في نهاية سنة **1961م**، ليتحصل بعد ثلاث سنوات قضاها هناك على شهادة البكالوريا.

بعد مغامرة قادته إلى "بريطانيا" عاد "محمَّد الصَّغير غانم" إلى أرض الوطن وسجل في جامعة "الجزائر العاصمة" فرع التَّاريخ فتحصل على شهادة الليسانس في هذا التَّخصص بدرجة جيد جداً، ثمَّ عُيِّنَ بعد ذلك في ثانوية "المقراني" بـِ"بن عكنون" بـِ"الجزائر العاصمة"، وفي نفس الوقت سجَّل في الدِّراسات العليا بجامعة "الجزائر العاصمة" المركزية تحت إشراف الدُّكتور "هشام الصَّفدي" من "سوريا" الشَّقيقة، حيث تحصل على دبلوم الدِّراسات العليا **DES** وذلك سنة **1974م**، ثم انتقل إلى التَّدريس في الجامعة المركزية.

في سنة **1976م**، تحصل "محمَّد الصَّغير غانم" على منحة دراسية إلى "فرنسا" وهناك سجل في بداية الأمر بجامعة "إيكس أن بروفانس – **Aix en Provence**"، حيث تحصل على دبلوم الدِّراسات المعمقة في الآثار الكلاسيكية **DEA**، ثم انتقل بعد ذلك إلى باريس قصد دراسة اللغات السَّامية القديمة، ذلك لأن الموضوع الذي اختاره لشهادة الدُّكتوراه يتطلب دراسة النُّقوش السَّامية والآثار البونية.

في "باريس"، سجل "محمَّد الصَّغير غانم" بالمدرسة التَّطبيقية **E.P.H.E** بجامعة السُّوربون **Sorbonne 4**، حيث قضى هناك ثلاثة سنوات، وبسبب قطع المنحة عليه من قبل وزارة التَّعليم العالي عاد إلى الجزائر العاصمة" سنة **1979م**، حيث استأنف التَّدريس بالجامعة المركزية، وبعد مضيِّ سنة ولأسباب صحية انتقل إلى جامعة "قسنطينة" سنة **1980م** للتدريس بها، وفي الوقت نفسه أنهى كتابة دكتوراه الدَّرجة الثَّالثة تحت

إشراف الدُّكتور "مصطفى الألفي" من "مصر" الشَّقيقة، حيث ناقشها سنة **1981م** بجامعة "الجزائر العاصمة".

في سنة **1996م**، ناقش "محمَّد الصَّغير غانم" دكتوراه الدَّولة تحت إشراف الأستاذ الدُّكتور "محمَّد حسين فنطر" من الجامعة التُّونسية، وذلك تحت عنوان: " المساهمة الحضارية البونية في المملكة النُّوميدية".

إلى جانب التَّدريس والبحث يعمل الأستاذ الدُّكتور "محمَّد الصَّغير غانم" كرئيس تحرير لمجلة "التراث" التي تصدر بِـ"باتنة"، وعضو هيئة تحرير بمجلة "سيرتا" التي توقفت عن الصُّدور، وباحث بالمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954م** بِـ"الجزائر العاصمة"، وعضو اتحاد المؤرخين الجزائريين، وعضو اتحاد المؤرخين العرب ببغداد والقاهرة، وعضو الأثريين العرب بالقاهرة، وله **14** كتاباً في تاريخ الجزائر وشمال إفريقيا القديم، وما لا يقل عن **90** بحثاً تتعلق في معظمها بميدان التَّاريخ الوطني والآثار[1].

من آرائه: أنَّ الفترة الفينيقية هي الحلقة المضيئة في تاريخنا الحضاري التي أخرجتنا من فترة ما قبل التَّاريخ وعالم الشِّفاهيات التي كانت سائدة قبل ذلك، حيث استعمل أسلافنا الأوائل الكتابة الكنعانية لأوَّل مرة في معاملاتهم، وهي المرحلة التي جعلتنا ننفتح على حضارات البحر المتوسط ونشارك فيها فاعلين.

فمن خلال هذا الرَّأي نستنتج أنَّ الدُّكتور "محمَّد الصَّغير غانم" يؤمن بالاتصال الحضاري بين الشَّرق والغرب، وأنَّ أسلافنا القدامى كانوا متفاعلين مع محيطهم متأثرين

[1] – محمَّد الصَّغير غانم: **المظاهر الحضارية والتُّراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج.1، ط.1**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ص.أ – ذ.

ومؤثرين، ما خلق حالة من التَّمازج الحضاري خلفت مواقع حضارية أثرية تدلل على ذلك. فماهي هذه المواقع الحضارية الأثرية التي دللت على قدرات الإنسان الجزائري القديم التي رصدها "محمَّد الصَّغير غانم" في كتاباته العلمية؟

ثانياً: المواقع والمعالم الحضارية الأثرية الجزائرية التي رصدها كتاباته:

I)– العصر الحجري القديم الأسفل:

1)– مواقع الغرب الجزائري:

أ)– بحيرة كيرار: يقول عنها "غانم" أنها موقع أثري ذو بصمات حضارية، تعود إلى فترة العصر "الباليوليتي الأسفل"، تقع إلى الشَّمال من مدينة "تلمسان" على الطَّريق الرَّابط بين هذه الأخيرة وبني صاف، ويعتبر هذا الموقع مستنقع ولا تَصْدُق عليه بحيرة، وقد زالت معالمه فيما بعد عندما جرت عملية استصلاح المناطق السَّهلية القريبة منه لصالح المعمرين الفرنسيين وذلك فيما بعد سنة **1894م**[1].

عُثر في أرضيته على عدَّة أدوات حجرية ومستحثات حيوانية تمثل فيلة أطلسية ودببة من النَّوع المنقرض وكذا أفراس النَّهر البيضاء. أما الأدوات الحجرية فتمثلت في الفؤوس اليدوية المصنوعة من الكوارتز والصَّوان المتبلر، بالإضافة إلى بعض الشَّظايا الحادة أو نصف مستديرة، التي توصل إليها "م. بولي – **M.Boulé**" في نتائج حفرياته المقدمة سنة **1899م**[2].

ب)– أوزيدان: موقع أثري أكتشف سنة **1874م**، وذلك في شمال شرق مدينة

[1] – P.Pallary. «**Caractères généraux des industries de la pierre**, **dans l' Algérie occidentale**, **l'homme préhistorique**», Paris, 1900, P. 33 – 43.

[2] – M. Boulé, bull. de la S. G. F., 3^{éme} série, T. XXVII, 1899, P.539.

"تلمسان" على الضِّفة اليمنى لوادي الصَّفصاف. ودرس أدواته الأثرية الفرنسي "ب. بالاري – **P. Pallary**" في العشرية الأخيرة من القرن التَّاسع عشر فوصفها بأنها عائدة إلى الفترة الأشولية. وهي في غالبيتها مصنوعة من الكوارتز.

ج)– اين كرمان: موقع أثري في النَّاحية الجنوبية من سهل الشّلف ويُعرف المكان حالياً بِـ"وادي ارهيو" الذي يمتد على حافة طريق سكة الحديد التي تربط بين الجزائر العاصمة و وهران. وقد عثر في هذا الموقع "ب. بلاري" على أدوات تتكون من بليطات أشولية وفؤوس بيفاسية صغيرة الحجم مصنوعة من الكوارتز الرَّمادي. وحسب "م. دالوني – **M.Dalloni**"، فإنَّ تلك الأدوات وُجدت مترسبة في الطَّبقات السُّفلى من منخفض الشّلف ليس بعيداً عن جديوية واين كرمان[1].

د)– أبو قير: يقع على بعد **13** كلم جنوب شرقي مدينة "مستغانم"، وذلك على الطَّريق الرَّابط بين هذه الأخيرة ومدينة "غيليزان". وقد قام بالتَّنقيب في هذا الموقع "ب. بلاري" منذ سنة **1886م**، ثم دُرست أدواته من قبل الباحث "دوميرق – **Doumergue**". ويبدو من تلك الدِّراسة، فإنَّ المنطقة كانت غنية بالحيوانات الضَّخمة الشَّبيهة بالحيوانات الاستوائية في وقتنا الحالي مثل الفيل الأطلسي والدُّب الأبيض وأفراس النَّهر. وقد توفرت بقايا الحيوانات المشار إليها في الطَّبقة السُّفلى المغطاة بالرِّمال الصَّفراء في أرضية الموقع[2].

---

[1] – M. Dalloni, «**notes sur la classification du pléocène supérieur et du quaternaire de l'Algérie**», bull. De la société géographie et d'archéol. D'Oran, T.LXI, 1940, P. 30 – 36.

[2] – P.Pallary. «**la sablière d'Aboukir**», bull. De la société de géo. Et d'archéol. D'Oran, 1887, P. 47.

هـ)– تغنيفين: يقع غربي قرية "باليكاو – **Palikao**"، بالقرب من مدينة "معسكر". وقد شُرع في التَّنقيب فيه منذ سنة **1872م**، حيث جُمعت منه حوالي **130**كلغ من عظام الحيوانات الضَّخمة، وذلك أثناء مؤتمر ما قبل التَّاريخ لسنة **1888م**[1]. كما استؤنف التَّنقيب في موقع "باليكاو" وذلك سنة **1954م**، وقد أشرف عليه كل من الأستاذين "ر. هوفستيتر – **R. Hoffsteter**" و "أرامبورغ – **C. Arambourg**" واستعانا في عملهما بأجهزة علمية دقيقة بحيث استطاعا أنْ يُجففا المستنقع ولو مرحلياً مما أتاح لهما التَّعمق في أرضيته المتكونة من الرِّمال والأتربة الصَّلصالية[2].

وقد تمَّ اكتشاف فكين سُفليين يعودان إلى العصر الحجري القديم الأسفل في موقع "تغنيفين" سنة **1954م**، يحملان سيمات الإنسان الأطلسي الموريطاني.

2)– مواقع الوسط الجزائري:

أ)– تاقدامت: يقع هذا الموقع الأثري على الطَّريق الرَّابط بين "الجزائر العاصمة" و"دلس"، وقد أعطى عدَّة فؤوس بيفاسية وأدوات مصنوعة من السَّيلاكس أشار إليها كل من "ب. بلاري" و "لاكور –**Lacour**"، وشاركهما في ذلك "توركا – **Turcat**" و "فيري – **Viré**". وقد جُمعت هذه الأدوات الحجرية في متاحف الجزائر مثل: متحف التَّاريخ القديم. ويلاحظ أنَّ سيمات الصِّناعة الأشولية كانت بادية على الأدوات المشار

[1] – P.Pallary. «**état du préhistorique dans le département d'Oran**», XX^{ème} congrès de l' A. F. A. S.,= =Marseille 1891, T. II, P. 609.

[2] – C. Arambourg et R. Hoffstetter, «**découvertes en Afrique du paléolithique Inférieur**», Acad. Sci., T.239, 1954, P. 72 – 74.

إليها أنفاً[1].

ب)– شامبلان: يوجد بالقرب من ضريح سيدي شاكر الموجود بضواحي "شامبلان – **Champlain**" بمدينة "المدية"، تدخل الأدوات التي جُمعت منه من قبل "م. كستلاني – **M. Castellani**" و "ل. جلود – **L. Gelaud**" وكذا "ل. بالو – **L. Balout**" سنة **1952م** ضمن حضارات العصر الحجري القديم الأسفل، بالإضافة إلى الرَّماديات التي هي من علامات العصر الحجري القديم الأعلى، وهي فؤوس يدوية ذات لمسة أشولية متقدمة، وبحسب الأستاذ "بالو" فهذه الأدوات تشبه الأدوات التي عُثر عليها في كل من: جنوب إفريقيا والمواقع المغربية والجزائرية الأخرى، خاصة تلك التي وُجدت في "تبلبالة – تاشنغيت" وتيهودين بالصحراء ثمَّ "تغنيفين" بالغرب الجزائري[2].

3)– مواقع الشَّرق الجزائري:

أ)– عين الحنش: موقع أثري مهم يقع على الضِّفة اليمنى لِـ"وادي العليق" الذي يصب في حوض منخفض، يوجد على بعد حوالي **9** كلم شمال غربي مدينة "العلمة" بولاية "سطيف" بالشَّرق الجزائري. أثبتت التَّنقيبات الأثرية في البحوث الجيولوجية بأنَّ المنخفض كان عبارة عن قاع لبحيرة ترسبت على ضفافها بقايا حيوانات ثديية منقرضة لا تستطيع العيش إلاَّ في المناطق ذات المناخ الرَّطب شبيهة بالمناطق الاستوائية في وقتنا الحالي. وفي رأي الأستاذ "أرامبورغ"، فإنَّ بقايا الحيوانات المشار إليها تعود إلى نهاية الزَّمن الجيولوجي

[1] – Viré, «**l'âge de pierre dans la région de Bordj Menail et sur la côte**, **rac**. **Des notes et mém**. **De la société archéol**. **De Constantine**», T. LXIII, 1935 – 1936, P. 12.

[2] – L. Balout, «**préhistoire de l' Afrique du nord**, **arts et métiers graphiques**», Paris, 1966, P.234.

الثَّالث. فترة "فيلا فرانشيان **Villa Franchien**" التي أنتجت لنا صناعة حجرية اعتبرت غريبة نوعاً ما بالنسبة للوسط الصِّناعي حينذاك[1].

وقد عرفت تلك الصِّناعة الحجرية البدائية بِـ"كويرات عين الحنش" الشَّبيهة بالبرتقال، والتي قال عنها الأستاذ "م. بيرني" سنة **1949م** أنها عبارة عن نفايات الشَّظايا التي أُلقيَ بها بغرض التَّخلص منها[2].

وقد خالفه في هذا الرَّأي "أرامبورغ" الذي يُشير إلى أنَّ "كويرات عين الحنش" هي أدوات حجرية وليست نفاية صناعية، غاية ما هنالك أنها استعملت لأغراض نجهلها[3].

ويلاحظ بأنَّ وجود تلك الأدوات التي تحمل بصمات الإنسان ممتزجة مع بقايا الحيوانات الثَّديية مثل: الفيل والزَّرافة ووحيد القرن يُعد كسباً علمياً في المنطقة المغاربية، وهو دليل قاطع على أنَّ موقع "عين الحنش" يعود إلى الزَّمن الرَّابع الجيولوجي – فترة البلايستوسين منه والتي تُصادف العصر الباليوليتي القديم الأسفل في الكرونولوجي التَّاريخي[4]. كما أنها تدعو الباحث إلى الاعتقاد بالتناسق والتَّلاحم الزَّمني بين الأشياء المشار إليها ابتداء من فترة فيلا – فرنشيان السُّفلى في "عين بوشريط" وحتى فترتها العليا في

---

[1] - C. Arambourg, «**sur la présence dans la villafranchien d'Algérie de vestiges éventuels**, **d'industrie humaine**», Acad. scien., T.229, Paris, 1949, P.66.

[2] - L. Balout, «**L'intellingence des hommes préhistoriques**», Libyca, T.I, 1953, P.268 – 270.

[3] - C. Arambourg, «**présentatoin d'objets énigmatiques provenant du villafranchien d'Algérie**», S. G. F, 1949, P. 121 – 123.

[4] - L. Balout, «**préhistoire de l' Afrique du nord**, **arts et métiers graphiques**», Op.cit, P.116.

"عين الحنش"[1].

وتُبيِّن "كويرات عين الحنش" أنها من بين أقدم ما هذبه الإنسان واستعمله في حاجياته اليومية، وبالتالي فهي تثبت بداية تكوين ذكاء الإنسان ليجعله يتفوق عن بقية الحيوانات الأخرى. كما يمكننا القول بأنَّ موقع "عين الحنش" لا يقل أهمية من حيث قيمته الأثرية عم موقع كل من "هيدلبيرج – **Heidlberg**" بألمانيا، ثم "أولدافي – **Owldaver**" بإفريقيا الشَّرقية مع فارق توفر الجماجم الإنسانية في هذين الأخيرين[2].

ب)– الماء الأبيض: يوجد هذا الموقع على بعد **45** كلم جنوب مدينة "تبسة". وقد اكتشف من قبل الباحث الفرنسي "أ. ديبروج – **A. Debruge**" الذي أكَّد بأنَّ الموقع يمتد لبضع كيلومترات ويحتوي على بقايا الصِّناعتين الشِّيلية والأشولية.

أما "أ. لاتابي – **A. Latapie**"، فقد عثر على قطعة عظم فك سفلي لحيوان ضخم لا يستبعد أنْ يكون قد عاش في نفس الفترة التي استعملت فيها الأدوات الحجرية المشار إليها آنفا. ويذهب "لاتابي" إلى أنَّ بقايا الأشولية في "الماء الأبيض" تعتبر أرقى ما وصلت إليه تلك الحضارة من حيث التِّقنية الصِّناعية. ويمكن أنْ تكون قاعدة أساسية انطلقت منها صناعة الحضارة الموستيرية التي ستعوضها في المرحلة الموالية خلال العصر الحجري القديم الأوسط. وكان "م. ريجاس – **M. Reygasse**" هو الأخر قد التقط عدَّة أدوات حجرية أشولية من نفس الموقع[3].

---

[1] – G. Camps, «**Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara**, **Doin**», Paris, 1974, P. 14.

[2] – Jean Selinek, «**encyclopédie illustrée de l'homme préhistorique**, **Gründ**», Paris, 1975, P. 54 – 55.

[3] – M. Reygasse, «**découvertes préhistoriques dans le centre de**

ج)– العين الصَّافية: يقع بالقرب من الحدود الجزائرية التُّونسية وذلك على الضِّفة اليمنى لِـ"وادي ملاق"، جمع منه الباحث "لاتابي" عدَّة أدوات حجرية تتصدرها فؤوس بيفاسية مصنوعة من الحجارة. وقد أكَّد "س. جزيل" بعد دراسته لتلك الأدوات بأنَّ هويتها الأشولية لا ينازع فيها[1].

4)– مواقع الصَّحراء الجزائرية:

أ)– موقع شتمة: يقع في شمال الصَّحراء على بعد **8** كلم شرقي مدينة "بسكرة"، تعود بقاياه الأثرية إلى العصر الحجري القديم الأسفل، وهي مستحثات حيوانية وحجارة مصقولة لا يعرف الغرض الذي هُذبت من أجله. وقد كتب "م. دالوني – **M. Dalloni**" بأنَّ بقايا محطة "شتمة" الأشولية بالقرب من "بسكرة" جديرة بالدراسة مثل: بقية المواقع الأخرى المتمثلة في كلٍّ من بحيرة كرار وباليكاو و أبوقير الواقعة إلى الشَّرق من مدينة "مستغانم"[2].

يضاف إلى موقع "شتمة" بقايا آثار موقع "الهامل" بالقرب من مدينة "بوسعادة" والعائدة إلى نفس الفترة الزَّمنية تقريباً.

ب)– موقع تيهوداين: "**Tihodaïne**" يقع بقلب الصَّحراء الجزائرية بجبال "الهوجار"، وُجد به بعض الصِّناعة البشرية العائدة إلى العصر الحجري القديم الأسفل، ويُستدل من بدائيتها بأنها تشبه تلك التي عُثر عليها في كلٍّ من "عين الحنش" و "بحيرة

Tébessa», rec. Des notes et mem. De la soc Archéol, de Constantine, T. XLV, 1911, P. 351.

[1] – ST. Gsell, atlas archéologique de l'Algérie, feuille 28, Aïn Baïda N° 226.

[2] – M. Dalloni, «**notes sur la classification du pléocène supérieur et du quaternaire de l'Algérie**», Op.citP. 40.

كرار"، لا سيما من حيث الصِّناعة الأشولية[1]. وبالقرب من تلك الصِّناعة عثر الباحثون على عظام حيوانات متحجرة لفيلة ضخمة وأفراس نهر ووحيد القرن وزرافات، بالإضافة إلى عظام تماسيح وطيور، مما جعل الباحثين يستنتجون بأنَّ مناخ الصَّحراء كان مغايراً لما هو عليه الآن. وأنَّ المناخ الرَّطب كان هو السَّائد، وحسب الباحث "هـ. دوفيري – **H. Duverier**" الذي نقَّب في "موقع تيهوداين"، فإنَّه بناء على الصِّناعة الحجرية المشار إليها وكذا عظام الحيوانات التي عاصرتها، فإنَّ الإنسان الذي ترك بصماته في "موقع تيهوداين" يحتمل أنْ يكون أقرب إلى إنسان شرقي إفريقية منه إلى الإنسان الأطلسي في الشَّمال[2].

ج)– مواقع صحراوية أخرى:

هناك مواقع صحراوية أخرى منتشرة في المنطقة، غير أنها تُعد أقل أهمية من "موقع تيهوداين". نذكر على سبيل المثال: "عرق أدهير" الذي التقطت منه أدوات شيلية، وكذا "وادي ميزاب" الذي كانت قد جمعت منه هو الآخر فؤوس بيفاسية ذات لمسات شيلية[3].

لقد رصد "محمَّد الصَّغير غانم" الموقع الحضارية وفق التَّسلل الكرونولوجي صعودا في الأزمنة القديمة التَّالية للعصر الحجري الأسفل، بدأً من "العصر الحجري القديم الأوسط"، معرجاً فيه على مواقع "الحضارة العاترية"، ثم "العصر الحجري الأعلى" متحدثاً وواصفاً

---

[1] – L. Balout et C. Arambourg, «**l'ancien lac de Tihodaïne de préhistiore**», Alger, 1952, P. 281 – 289.

[2] – Ch. Devillers, «**les dépôts quaternaires de l'erg – tihodaine**, **Sahara central**», congrès préhitorique de F. 13éme session, Paris, 1950, P. 276 – 278.

[3] – H. L'Hote, «**les secrets du Sahara**, **le monde colonial illustré**», Paris, 1934, P. 186 – 189

"للحضارة الايبيرومغربية" أو "الحضارة الايبيروهرانية" كما يحلو لِـ"غانم" أن يُسميها، و"الحضارة القفصية"، وصولاً إلى العصر الحجري الحديث الذي بيَّن فيه عمق حضارة الصَّحراء الجزائرية من خلال الرُّسوم والنُّقوش الصَّخرية الموجودة بِـ"التَّاسيلي" و "الهوجار"، التي تجاوزت رسومها خمسة عشرة ألف رسم[1].

بناء على هذا التَّسلسل الزَّمني الذي رصد به "غانم" الموقع والمعالم الحضارية في العصر الحجري وتقسيماته، يمكننا أنْ نطرح سؤالاً: ما المواقع الحضارية الأثرية التي تدلل على فجر التَّاريخ ببلاد الجزائر؟

II)- عصر فجر التَّاريخ في الجزائر:

لقد حاول "محمَّد الصَّغير غانم" أنْ يرصد هذه المرحلة من خلال تطور الإنسان ومنجزاته الحضارية، ومن أهم معالم هذه الفترة ظهور المقابر "الميجاليتية أو الجلمودية(**Mégalithiques - Nécropoles**)[2].

فالمقابر " الميجاليتية" هي المقابر التي تركها إنسان فجر التَّاريخ، ففي الوقت الذي اندثرت فيه جل البقايا المادية المتعلقة بالسكن والحياة اليومية، نجد هذه المعالم بقيت حاضرة تشهد على حقبة تاريخية هامة من تطور الإنسان بصفة عامة وإنسان المغرب القديم بصفة خاصة.

1)- أنواع المقابر الميجاليتية في الجزائري:

أ)- قبور التِّيميلوس: لقد عُرف هذا النَّوع من القبور بعدَّة أسماء مثل "الرَّجم -

[1] - H. Breuil et H. L'Hote, «**l'âge de la pierre**, **l'art rupestere de l'Afrique mineure et du Sahara**», éd. Albin Michel, Paris, 1960, P. 94.

[2] - محمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.192.

Redjems" في الشَّرق الجزائري و "الكركور - **Karkoure**" في الغرب الجزائري[1]. ويتكون هذا القبر من بناء مخروطي الشَّكل يُغطي حفرة الدَّفن التي تتكون من رُكام كبير من التُّربة والحجارة، وهي ذات قاعدة دائرية يتراوح قطره من **5** إلى **150**متر[2].

والتِّيميلوس هو تكديس بسيط للحجارة ذات أشكال مختلفة والشَّكل المشترك عموماً والغالب في بلاد المغرب القديم هو البناء الجنائزي المخروطي الشَّكل[3]. وتوجد في هذا النَّوع عدَّة أصناف تتلخص في الأنواع التَّالية:

- التِّيميلوس الخالي من الغرفة الجنائزية.
- التِّيميلوس الذي يحتوي على غرفة دفن.
- التِّيميلوس الذي يضم تابوتا حجريا.

١)- التِّيميلوس الخالي من الغرفة الجنائزية: ينتشر هذا النَّوع من القبور المخروطية في المناطق الصَّحراوية بصفة عامة، هذا ما تؤكده حفرية الضَّابط "ديسنيي - **Dessigny**" بمنطقة "عين الصَّفراء" حيث أنَّ الجثة كانت ملقاة على الأرض، والعظام كانت في وضعية سيئة، فضلاً عن غياب الأثاث الجنائزي[4]. ووصف هذا الباحث البناء المخروطي الذي يعلو قبور "عين الصَّفراء" بأنه عبارة عن رُكام كبير من الحجارة الهشة

[1] - محمَّد الصَّغير غانم: المرجع نفسه، ص.195.

[2] - M. Reygasse, «**monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du nord**», Paris, 1950, P.6.

[3] - G. Camps, «**aux origines de la béribérie**, **monuments rites funéraires protohistoriques**», Paris, 1961, P. 66.

[4] - Capitaine Dessigny, «**notice sur quelques monuments de la région d'Aïn Safra**», B. A. C, P. 63 – 80.

والحصى تُغطي تحتها بقايا جثث بشرية كانت قد وُضعت فوق الأرض مباشرة في مركز البناء[1].

٢)- التِّيميلوس الذي يحتوي على غرفة جنائزية: يوجد بمنطقة "تلاغ" بالغرب الجزائري ومنطقة "عين الصَّفراء"، وهو لا يختلف عن سابقه من حيث المظهر الخارجي، غير أنَّ حفرة الدَّفن فيه قد تكون محمية بأربع أو خمسة لوحات حجرية فالحفرة تكون مُغطاة بحجارة صغيرة[2]. وعليه فالجدران الدَّاخلية مزودة ببلاطات تجعلها قوية، فضلاً عن استعمالها في البنية الدَّاخلية تُستعمل أيضاً في التَّغطية[3].

٣)- التِّيميلوس الذي يحتوي على تابوت جنائزي: تتطور البناء الجنائزي وأصبح يحتوي على تابوت يتوسط في غالب الأحيان البناء المخروطي، حيث يتكون في الغالب من حجرة مستطيلة منحوتة في وسطها ومغطاة ببلاطة حجرية أو عدَّة بلاطات، ويصف الضَّابط "بيتي - **L. Petit**" البناء المخروطي الذي يعلو قبور "عين الصَّفراء" في الصَّحراء الجزائرية بأنه يتكون من كوم بسيط من الحجارة وُجدت بوسط الغرفة الجنائزية التي يتوسطها التَّابوت[4]، كما يوجد نفس هذا النوع من التِّيميلوس بِـ"جبل حلوف" الذي يبعد **4** كلم عن مدينة "قالمة"، وبمنطقة "عين كرمان" شمال مدينة "بوسعادة"[5].

وخلاصة ما تواصل إليه "غانم" من دراسة هذه القبور التي في أصلها هي مواقع أثرية

---

[1] - Capitaine Dessigny, Op. cit, P. 63 – 65.

[2] - M. Reygasse, Op. cit, P. 6.

[3] - G. Camps, Op. cit, P. 69.

[4] - L. Petit, «**note sur les Tumulus d'Aïn Safra**», B. S. G. O, T. XXXVI, 1905, P. 285 – 294.

[5] - G. Camps, Op. cit, P. 69.

حضارية التَّالي:

- اختلاف قبور التِّيميلوس، من حيث المظهر الخارجي أحياناً، وبنيتها الدَّاخلية دلالة واضحة على تنوع العصور والفترات التي استعملت فيها هذه الأصناف.
- اختلاف الأنماط تبعاً لاختلاف طرق الدَّفن في هذا الصِّنف من المدافن.
- تشابه بعض الأواني التي استخرجت من التِّيميلوس مع أواني أخرى استخرجت من قبور الدُّولمن[1] دلالة على استعمال المغاربة القدامى لأنماط متعددة من المدافن[2].
- الملاحظ أنَّ بعض أنواع التِّيميلوس يوجد دفن ثنائي إذ يحتوي البناء الجنائزي على قبرين، مما يدفع إلى الاعتقاد أنَّ القبرين لشخصين من نفس العائلة[3].
- إنَّ قبور التِّيميلوس في الجزائر تتواجد بنسبة تفوق قبور الدُّولمن التي تلتقي معها في نفس الأصول الحضارية المغاربية[4].

ب)– قبور البازيناس: هو نوع من القبور تعلوها بنايات مستديرة الشَّكل عامة، وقد تكون مدرجة حيث أنها تتكون من دوائر متتالية شاقوليا مع تقلص القطر حتى تظهر في شكل حلزوني. ويستعمل في بناء البزينة الحجارة وأحياناً الحجارة والأتربة معاً، كما أنها تظهر في شكل أكمات مرتفعة[5].

---

[1] – **الدُّولمن:** نوع من المدافن تواجدت بكثرة في شمال "إفريقيا" ومنها الجزائر التي تتواجد بها هاته المدافن الحجرية، تشكل حلقة هامة في تاريخ العمارة الجنائزية المغاربية؛ كما أنها تكشفت عن جوانب هامة في تاريخ المغرب القديم خلال فجر التَّاريخ. **انظر:** محمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.213 – 214.

[2] – M. Reygasse, Op. cit, P. 8.

[3] – G. Camps, Op. cit, P. 71.

[4] – G. Brunon, «**notice sur les Dolmens et Tumulus de l'Algérie**», R. S. A. C, 1867 – 1877, P. 332.

[5] – محمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.201.

وقد قال عنها الباحث الفرنسي "لوتورنو - **A. Letourneaux**" سنة **1867م** أنها تلك القبور المنتشرة حول الأوراس في السُّهول[1]. وتتواجد قبور البازيناس في العديد من المواقع المرتفعة والمسطحات سواء في الجزائر أو المغرب أو تونس[2].

وأهم المواقع بِـ"الجزائر": "تديس - **TIDDIS**" و "إشوكان - **ICHOUKKANE**" و "بونوارة - **BOUNOUARA**" و "مسكانة - **MESKANA**" و "جبل مستيري - **MISTIRI**" بتبسة و "الأوراس - **AURES**" و "عين الحمارة - **AIN EL HAMARA**" بأولاد جلال.

لقد بقيت مدافن البازيناس متواجدة إلى ما بعد الغزو الرُّوماني[3]، وهي تتشابه مع قبور التِّيميلوس، بحيث أنها يمكن أنْ تضم حفرة للدفن أو تابوتاً حجرياً، يوجد بداخله جثة الميت ويمكن النَّفاد إلى غرفة الدَّفن بواسطة ممر[4].

وأهم الأصناف التي تُميز مدافن البازيناس فيمكن حصرها في خمسة أنواع هي:

- البازيناس المقببة.
- البازيناس ذات القاعدة الأسطوانية.
- البازيناس المتعدد القبور.

---

[1] - A. Letournaux, «**sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale archive sur anthropologie**», T.II, 1867, P.309 – 312.

[2] – محمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.202.

[3] – محمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.203.

[4] - R. Le Du, «**les tombeaux rendus du Djebel Mistiri**», R. AF, T.XXXII, 1938, St. P. 567 – 587.

- البازيناس المدرجة.
- البازيناس المتطورة.

١)- البازيناس المقببة Bazinas Acarapace: تمتد في منطقة المرتفعات العليا للجزائر الوسطى ويصل امتدادها إلى غاية "وادي جدي - **Oued Djedi**" بالقرب من مدينة "بسكرة"، وتتصف من حيث مظهرها الخارجي ببناء مرتفع يعلو قاعدة على شكل مستدير وبيضاوي الشَّكل. وأحيانا قد تكون تلك البازيناس مستطيلة، يتراوح قطر دائرتها من **9** إلى **10** أمتار، أما جزؤها العلوي فقد يغطى ببلاطات مقببة، هدفها وقاية القبر من تسرب الماء والتراب إلى داخله وحفظ الجثة البشرية[1]. وتعد منطقة الأوراس النِّطاق الجغرافي لتواجدها[2].

٢)- البازيناس المدرجة Bazinas à degrés: ينتشر بكثرة في المناطق التَّلية الممتدة من "قسنطينة" إلى غاية الحدود التَّونسية[3]، وهي منشرة بكثرة في الشَّرق الجزائري "كجبل مستيري" بمدينة "تبسة"، وتتميز بكبر حجمها واتساعها حيث توجد نماذج لها بـِ"إشوكان" و "الأوراس"، ومن أحسن البازيناس المدرجة تلك التي قام "كامبس" بدراستها بمقبرة "بنوارة"[4].

---

[1] - Gsell, H. A. A. N, T.VI, P. 186.

[2] - Dr Bertholon et E. Chantre, «**recherches anthropologiques dans la berberie Orientale**(**Tropoltaine**, **Tunisie**, **Algérie**)», Lyon, 1913, P. 598.

[3] - St. Gsell, M. A. A. , T.I, P. 17.

[4] - G. et H. Camps, «**la nécropole Mégalithique du Djebel Mazela**», mémoire de CRAPE, A. M G, Alger, 1964, P. 34.

٣)- البازيناس ذات القاعدة الأسطوانية Bazinas à bace cylindrique: يتواجد بكثرة في أطراف الصَّحراء، يتميز بقاعدته الأسطوانية الشَّكل، ويصف "فروبينيوس - **Frobenius**" هذا النَّوع بأنه حالة وسطية بين البازيناس المقببة، والمدرجة[1]. ومن أحسن أمثلة هذا النَّوع مقبرة "عين الحمارة" بمدينة "أولاد جلال"، حيث يوجد البازيناس في شكل مجموعات صغيرة تتكون من عدَّة قبور[2]، كما تتواجد في "جبل مستيري" و "عين الصَّفراء" وكذا جنان "بورزق - **Bourzek**"، وعليه فإنَّ هذا النَّوع يتواجد بكثرة على أطراف الصَّحراء عكس البازيناس المدرجة التي نجد لها نماذج جيدة بالشَّرق الجزائري إلى غاية الحدود التُّونسية[3].

٤)- البازيناس المتعددة القبور Bazinas à sépultures multiples : يختلف هذا النَّوع عن الأصناف السَّابقة من حيث تميزه بتعدد القبور، في حين يبقى الشَّكل العام غير مختلف عن سابقيه. وتعد بازيناس "تديس" من أحسن النَّماذج التي تمثل هذا النَّوع[4].

وتوجد العديد من النَّماذج لهذا النَّوع من البازيناس في مواقع عديدة مثل بازيناس "مشرع الصَّفا -**Mechrasafa**" بمدينة "تيارت"، و "سيجوس - **Sigus**" بالشرق الجزائري.

---

[1] - Gautier, «**les premiers résultats de la mission Frobenius**», R. AF, T. LXII, 1921, P. 47 – 61.

[2] - St. Gsell, A. A. A…, fauilles 46, n° 169, et. 178.

[3] - محمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.206.

[4] - A. Berthier, «**les Bazinas de Tiddis**», Libyaca, T. IV, 1956, P. 147 – 153.

٥)– البازيناس المتطورة: متطورة من حيث طرق البناء والزَّخرفة، مثل قبر "الرُّومية" و "المراسن"، الذي يعد من روائع العمارة النُّوميدية، وهو بزينة تتميز بمميزات العمارة البونية بكل ما أخذته عن الحضارات المتوسطية كالمصرية والبونية وغيرها[1].

لقد قدَّم "محمَّد الصَّغير غانم" المعالم الأثرية القديمة كمنارات لحضارة الإنسان الجزائري القديم ورصدها عبر كل الأزمنة من خلال المواقع الحضارية ومعالم مدن الأموات، فقدم ما تقدم ذكره؛ كما رصد مقابر أخرى مثل: "مقابر الشُّوشة" و "مقابر الدُّولمن"، والمقابر الميجاليتية بِـ"الرَّكنية بقلعة بوعطفان" و "بونوارة" و مقابر "الحوانيت"، وهي في مجملها شواهد حضارية ومعالم أثرية ترسم لنا صورة شبه مكتملة حول حياة الإنسان الجزائري القديم.

ومن أهم ما اهتم به "غانم" المعالم الحضارية الأثرية للملكة النُّوميدية، وأهم معالمها ضريح الصَّومعة بالخروب. فما هو هذا المعلم؟ وما أهميته؟

2)– ضريح الصُّومعة وحضوره الحضاري:

يقع الضَّريح الملكي بأعالي مدينة "الخروب" على هضبة تبعد **14** كلم من عاصمة النُّوميدين "سيرتا"، وقد بدأت الدِّراسات التي تناولت هذا الضَّريح من قبل الفرنسيين "تومبل – **Temple**" و "فابل – **Fable**" سنة **1838م**. كذلك أشار إليه فيما بعد الباحث "بيربروجير – **Berbrugger**" وذلك سنة **1843م**. وتلاحقت الدِّراسات والأبحاث الأثرية على ضريح "صومعة الخروب" بعد ذلك من قبل كلٍّ من "أ. رافوازي – **E. Ravoisier**" والمهندس "أ. دولامار – **Delamar**"، هذا الأخير

[1] – محمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ص.207.

الذي أبرز في أحد ألواحه الصَّومعة كمعلم أثري قديم[1].

لقد صُنِّف "ضريح الصُّومعة" على أنه فريد من نوعه من بين المعالم الأثرية في بلاد المغرب القديم، ذلك لأنَّ غرفته الجنائزية قد احتوت على أثاث تمثل في لقى أثرية تضم سيفاً من الحديد مؤكسد، وإلى جانبه وُجدت خوذة مخروطية في حالة مؤكسدة، يُضاف إليها درع مستطيل الشَّكل صُنع من الحديد وُجد مؤكسداً هو الأخر، مع أدوات أخرى وبقايا عظام لشيخ مسن، وكذا عظام لطفل صغير[2].

لقد تأكد المهندس "بونال – **Bonnel**" من خلال دراسته لبقايا أثاث ضريح الصَّومعة أنَّ هذا الأخير قد لا يكون إلاَّ لشخصية مرموقة لها مكانتها في المجتمع النُّوميدي حينذاك، كما أنه صَنَّف الضَّريح من خلال اللمسات المعمارية لبنائه على أنه يرجع إلى النَّموذج الإغريقي – البوني الذي انتشر خلال القر الثَّاني ق.م، وأنَّ أثاثه الجنائزي المتمثل في الخوذة والسُّيوف والخناجر والدُّروع، لا يُستبعد أنْ يعود لشخصية عسكرية، وأنَّ السِّلاح الذي عُثر عليه كان مثيله يُستعمل لدى الجيش القرطاجي، والعالم الشَّرقي بصفة عامة منذ القرن الثَّالث ق. م، ما يُنْبِئ بوجود علاقات بين الدَّولة النُّوميدية وبلاد الإغريق[3].

وعليه فإنَّ أهمية هذا المَعْلَم وما وُجد بداخله تُعد شاهداً على التَّلاقح الحضاري الحاصل على أرض "الجزائر" بين مختلف الحضارات التي كانت متواجدة بتلك الفترة.

---

[1] - L. Bonnel, «**Monuments Gréco – puniques de Soumaa**», R. S. A. C, T. XLIX, 1915, P. 168 – 178.

[2] – محمَّد الصَّغير غانم: المرجع السَّابق، ج.**3**، ص.280.

[3] - M. Bonnel, «**Monuments Gréco – puniques de Soumaa**», R. S. A. C, T. XLIX, 1915, P. 176 – 179.

ثالثاً: قيمة هذا الرَّصد في تاريخ الجزائر الحضاري، وما أضافه لتاريخ الإنسانية:

لقد كان لكتابات "محمَّد الصَّغير غانم" قيمة علمية ذات دلالات حضارية تفيد التَّاريخ الجزائري و الإنساني تمثلت في التَّالي:

حاول رصد كل المواقع الحضارية الأثرية بكل الوطن الجزائري شرقاً وغرباً ووسطاً وحتى صحراءه ليبيِّن أنَّها كانت عامرة وحافلة بحضارة الإنسان القديم، منذ قديم الزَّمان مثلها مثل الحضارات الأخرى، بل إنها في بعض أجزائها شكَّلت مهداً لحضارات أخرى عقبتها في الشَّمال الإفريقي.

أثبت "محمَّد الصَّغير غانم" في دراساته حالة التَّناسق والتَّلاحم الزَّمني بين المكتشفات والموجودات في المواقع الأثرية، والتي بينت حالة الاتصال والتَّواصل عند الإنسان الجزائري القديم في شتى المواقع، وكذا حالة التَّواصل مع حضارات البحر المتوسط من خلال الآثار الحجرية.

بيَّن مدى قيمة المواقع الحضارية الأثرية الجزائرية من خلال مقارنتها بمواقع أثرية أخرى في العالم لتوضيح مدى أهميتها، ما أفاد بحالة التَّواصل الحضاري بين أفراد المجتمع القديم في كلِّ القارات.

دراسته لمدن الأموات أو المقابر جعلته يُظهر التَّطور والنُّمو الحاصل في فكر الإنسان الجزائري القديم، وحسن إمساكه بالأدوات والمباني الحجرية وهندسة أشكالها وإثراء صناعتها بلمسات جديدة، ضمن حلقة تطور الإنسان القديم عبر الأزمنة التَّاريخية.

الخاتمة:

لقد تميزت كتابات "محمَّد الصَّغير غانم" بالحس الوطني الحامل للنقمة عن الاستعمار، كما تميزت بوجود البعد الوحدوي في شكله المغاربي والتَّلاقي مع الأخر في بعده الحضاري

الإنساني، وما يمكن استنتاجه من هاته الدِّراسة التَّالي:

حاكم "محمَّد الصَّغير غانم" المستعمر الفرنسي على جرائمه في حق معالمنا الحضارية والأثرية التي أراد القضاء عليها بحجة تهيئة الأراضي للمعمرين الأوروبيين، وذلك لأجل القضاء على رابطنا الحضاري التَّاريخي القديم قِدم البشرية، حتى يقتلعنا من ماضينا التَّليد. فنجد أنَّ "غانم" عند تقديمه للمواقع الحضارية يُعرِّف بها ويسرد مجريات أحداثها التَّاريخية وتفاصيل وقوعها، كي تبقى للأجيال محفوظة كدراسات علمية موثقة يستفيد منها التَّاريخ.

في بعض فقرات كتاباته يُحاول "محمَّد الصَّغير غانم" أنْ يربط الواقع القديم بوقائع شبيهة له حالياً فيستعمل عبارة "في وقتنا الحالي"، كي يفهم القارئ حالة التَّرابط الواقعة بين الأزمنة التَّاريخية وهي تُعيد نفس الصُّورة وفق ظروف جديدة.

لقد قدَّم "محمَّد الصَّغير غانم" منطقة المغرب بأكملها على أنها منطقة واحدة تحمل نفس المقوِّمات الحضارية متناسقة فيما بينها وفق سيرورة الحقب التَّاريخية؛ وهذا في منظورنا دراسة استشرافية تستنطق سلوك الإنسان القديم من خلال المعالم الأثرية والمخلفات الحضارية يمكن لها أنْ تستنهض الفرد المعاصر لإذابة الحدود والذَّهاب باتجاه الوحدة، لأنَّ المقوِّم الحضاري واحد.

رصد "محمَّد الصَّغير غانم" التَّواصل مع الإغريق والتَّفاعل مع الفينيقيين الذي له دلالة تُبرز قدرة الإنسان الجزائري القديم على بناء علاقات تواصل مع الغير وفق قاعدة التَّأثير والتَّأثر.

وما يمكن حوصلته أنَّ "محمَّد الصَّغير غانم" كتب دراساته الأثرية التَّاريخية بنفسٍ جزائريٍ حرٍ، ذا بُعدٍ وحدوي مغاربي؛ ومؤرخ ودارس يُحبُّ الإنسان ويُبرز رفعته من خلال منجزاته، ويُثني على تطوره من خلال فكره المجسد في مخلفاته.